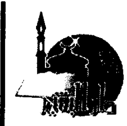
ترنيمة الغرباء

"ملحمَــــة شعْرِيَّــة"

شعْر

عطــــيَــة الويشىّ



للثقافة والعلوم

اسم الكتاب : ترنيمة الغرباء.

شعر : عطية فتحي الويشى.

التصنيف : الشعر العربي ـ تاريخ ـ العصر الحديث.

الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .

عدد الصفحات : 58 صفحة

عدد الطبعات : (الطبعة الأولى 2007م)

قياس الصفحة : 16×12

الناشر : دار البشير للثقافة والعلوم . طنطا

تليفاكس 22703648 / 02 040/ 3316316

darelbasheer@hotmail.com

dar_elbasheer@yahoo.com

الإيداع القانونى : 20187 / 2007

تدمك : 1_323_278_977

مع خالص الشكر والتقدير لكل من الفنانين

أزهار السعدى ، فدوى طويسي ، أحمد بركة

1428 هـ

2007 م

مقدمة

لم آسَفْ على شيء فَعلْتُه عَبْرَ امْتدادات سَنوات عُمْري التي تجاوزَت الأربَعينَ... قَـدْرَ أسَفي عَلَى الضَّعْف الَّذي أبْديْتُهُ أمامَ إلحاحات خواطري المُتكَرِّرَة بكتابَة الشِّعْر!؛ فَقَدْ كانَ أجْدَرُ بي أنْ أتْركَ المَجالَ لأهْله والصَّنْعَةَ لمُبْدعيها الخُلَّص الأصَلاء... أولَئكَ الَّذينَ لا يَفْتَقدُونَ مثْلي في عَوالِم الأدَب ومُنْتَديات الشِّعْر!... وَألْتفتُ أنا بِدَوري إلَى مَيدان الفكْر - الَّذي ما نَذَرْتُ حَياتي لسُواهُ!..

وَغَيْرُ خاف عَلَى كُلّ مُتَحَسِّس أحوالَ أُمَّتنا الحَرِجَة... والمُسْتَشْعر آلامها ومَرارَةَ واقعها... كَمْ هُوَ حَجْمُ الاسْتفْزاز والإثارَةَ لكُلّ نَفْس غَيُورَة تُجاهَ ما يَحْفَلُ به واقعُنا العَرَبيُّ والإسلاميُّ منْ مآسٍ وَمآلِمَ ومَظالِمَ... هي صناعَةٌ عَرَبيَّةٌ تَحْملُ مَعَ كُلّ أسَف ومَرارَةَ مَلامحَ وتَوقيعات لأُناس منْ بَني جلدَتنا وَيَدَّعُونَ الانْتسابَ إلَى أُمَّة العربة والإسلام - وَهُم منْهُمُ بُراءٌ!... إنَّ مثْلَ هَذه الاسْتفزازات

الصَّارِخَةِ : هِيَ الَّتِي أَغْرَتْنِي بارْتِيادِ مَيدانَ الشِّعْرِ مُجْتَرِئًا عَلَى الأكابرِ فليعفوا وليصفحوا !... وعلى أية حال فإنها خَطَراتٌ عَجْلَى جَرَتْ مَجْرَى المَلْحَمَةِ الشِّعْرِيَّةِ... فَقُدِّرَ لَها أَنْ تَخْرُجَ عَلَى هَذا النَّحْوِ ؛ واللهَ أسألُ سَماحَةَ النَّقْدِ ورَحْمَةَ النَّقْضِ مِمَّنْ كانَ لَهُ في قِراءَةِ هَذِهِ المَلْحَمَةِ نَصيبًا...

عطية الويشيّ

بين يدي الملحمة

تُحلّق بنا أحداثُ هذه المَلحَمَة في أجواءِ يوم من أشدِّ أيّام أوطاننا المنكوبة بالبُغاة والظّالمين مأساويّةً وسَوداويّةً!... يَوْمٍ قُتِلَ فيه المئاتُ منْ المؤمنين الأبرارِ الأخيارِ العُزَّلِ في أحد سجون بلادنا العربيةِ!... فارْتَوت الأرضُ بدمائِهِمُ الطّاهرةِ الذَّكيّةِ دون ذَنْب أو جَريرةَ أو تُهْمَةَ إلا أنْ يَقُولوا «ربّنا الله».!

فَبَعْدَ حياة طَويلة خَلْفَ الأسْوار، وانقطاعٍ عَن الحياة وَالأهْلِ والخِلاّن والأحبابِ... حَيْثُ قَضّى بَعْضُهم عشْرينَ عاماً ونَيِّفًا في غَياهبِ السُّجُونِ والمُعْتَقلات، لا يُؤنسُ وَحْدتَهم ولا يُطعمُ مَسْغَبَتَهُم ولا يُداوي جِراحَاتِهم ولا يُواسيهم في أتراحِهم أو أفراحِهمُ سِوَى الله الحَبيبِ رَبِّ العالَمين!... بَعْدَ ذَلكَ أُذنَ لَهُم بالزِّيارَة، ومُنّوا بوعود مُغَلَّظَة بقُرْبِ أجَلِ الخُرُوجِ وإخلاءِ السَّبيل!.. فَحَصَلَتْ عَلَى إثْر ذَلكَ: حالةٌ غامرةٌ من النَّشوة والفَرَحِ والتَّهَلُّلِ بالاستبشار!... ولَكِنَّها سَرعانَ ما تَبَدَّدت، وتَحَوَّلَت إلى

حالة من الإحباط عندما أحَسُّوا بما يُشيرُ إلى حَنْث البُغاة في وَعْدهم!.. الأمْرُ الَّذي حَدا بالبَعْض إلى التَّمَرُّد والعصْيان ومُحاولَة الهروب... ولَكنَّ تلك المُحاوَلات لَمْ تفلح !، إذ سَقَطَ في خضَمِّها العَديدُ منَ الشُّهَداء والجَرْحَى!... بعدها تَعَقَّدَت الأمورُ... ولم تَزْدَدْ أحوالُ المُعْتَقَلِ وَالمُعْتَقلين بعد ذلك إلا سُوءاً وتَدَهْوُرًا!.. ولكن بارقة أمل جديدة قد لاحت في ذلك الأفق الكئيب !

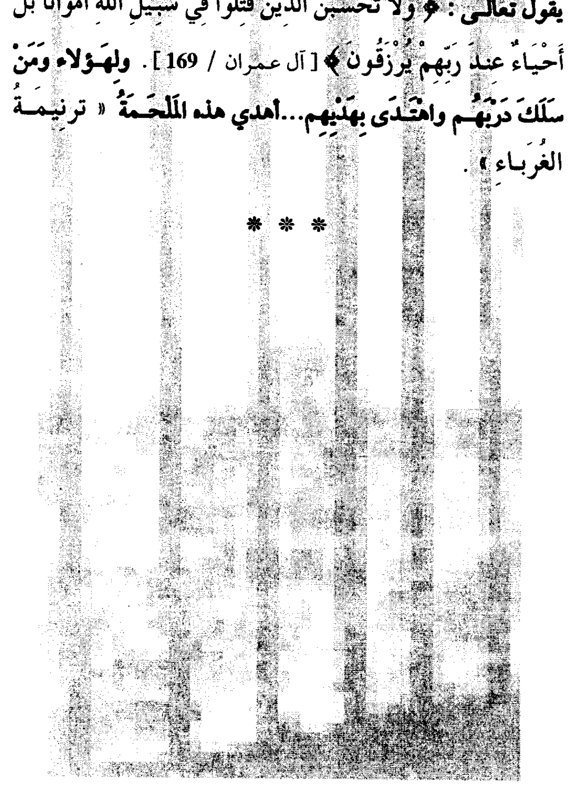
ففي أثناء إحْدَى الزِّيارات، تَطايَرَت الأخْبارُ السَّعيدَةَ التي تفيد بوشوك الانعتاق من هذا النفق المظلم الطويل .. فعمَّت فرحة قاهرة لم لا يُحدُّ منها سوَى تلكَ الهَواجِسِ التَّقْليديَّة برُجُوعِ السُّلطات عمَّا وَعَدُوا به!؛ لكنَّ هذا لم يمنع الأهْلَ والأحبابَ في غَمراتِ الفَرْحَةِ مِن الإعداد لِحَفْلِ استقْبالِهِمُ التَّاريخيِّ السَّعيد!.. وبينما يَبيتُ الجَميعُ على أمَلِ العَوْدَة... إذا بِغَرابيبَ سُودٍ تأتيهم فَتَنْعَى إليهم أولئك المُعْتَقَلين وسط حالة رهيبة من الدهشة والذهول !..

يَوم تَرامتْ إِلَى الأسماعِ هَمَسَاتُ ذلكَ النَّبأ المشئومِ عَبْرَ بَعْضِ الصُّحُفِ الأجْنَبيَّة - ومَجلَّة عربيَّة واحدَة.. كانت صغيرتي فاطمة تهاتفُني عَبْرَ الأثير.. وتَسْتَحِثُّ إلى البيت خُطَايَ كي نَلعبَ ونَمْرَحَ كَعادَتنا سَوياً في حِجْرِ البَيْت!...

ذَلِكَ، ولَمْ تَنسَ فاطمَةُ أنْ تُؤكِّدَ عَلَى ما اعتَادتْ عَلَى شرائه لَها مِنَ الحَلْوَى والفُول السُّوداني والمُكَسَّرات!... لَكنَّ خطواتِيَ قد أبطأتها النَّوائبُ وأثقلتها الخُطوبُ... وأسلَمَني هذا المَوقفُ الرَّهيبُ إلَى حالَة منَ الشَّلَل والحَيْرَة وخيبة الأمل !.حينئذ حدَّثْتُها بخَفَقات صَامتَة وأنَّاتُ التَّأوُّه يتَردَّدُ صَداها في فَضاءات قَلبي المَرْعُود لِهَول الحادثة الرَّهيبَة!... ماذا لو لم يَعُدْ أبُوك يا فاطمةَ كَما لَم يَعُدْ هَؤلاء الشُّهداءُ إِلَى أولادهم ؟! هل سَيَتَسنَّى لَنا أنْ نَلعَبَ سَوياً مرَّةً أُخرَى؟ أم أنك ستلحقين بركب يَتامَى الشُّهَداء في أوطاننا المنكوبة بالآثمين...؟! وليَهْنأ الرَّعاعُ الصَّامتون بهذه الحَياة القَصيرَة الفانيَة المُتَعَفِّنَة!... أمَّا المَجدُ والحَيَاةُ العَزيزَةُ الخالدَةُ الأبَديَّةُ والفَخَارُ فَلِلشُّهَداءِ الأبرار!...

يقولُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران / 169] . ولهَـؤلاء وَمَنْ سَلَكَ دَرْبَهُـم واهْتَـدَى بِهَدْيِهِم...أهدي هذه المَلْحَـمَةُ « ترنيـمَـةُ الغُرَبـاءِ » .

* * *



يا فاطمة

هيّا دعي الآن الشموعَ

دعي الورودَ هنيهةً

وتمهّلي!..

لا تُخبري الأطفالَ

أنّ اليومَ عيدٌ!..

لا تنزعي ثوبَ الحدادِ

عن البلادِ

لطالما نمضي إلى غاياتنا

لا نهتدي الدّربَ السّديدَ!

عيدي هنالكَ..

لمْ تعُدْ دُنياكُمُو

أملاً يُراودُني لأرْجعَ منْ جديدٍ!..

قد أُكْمِلُ المُشْوارَ

في لَيْلٍ بَهيمٍ واجِمٍ..

قَدْ أهْجُرُ الجَسَدَ القَعيدْ!..

قَدْ أمْتَطِي مِعْراجَ رُوحِي..

بَيْنَ أمْلاكٍ تُؤانِسُ وَحْدَتِي..

وتَئُوبُ للرُّكْنِ الشَّديدْ!

تاقَتْ إلى عَبَقِ الجِنانِ جَوانِحِي

وتَطَلَّعَتْ رُوحِي إلى

أكْنافِ مَوْلايَ المَجِيدْ!

يا فاطِمَه:

يا حَبَّةَ القَلْبِ المُضَرَّجِ بِالجَوَى!...

يا لَهْجَ ذِكْرِي

يا لِوَجْدِيَ والهَوَى!...

يا حرَّ أكبادي المَشُوقَةِ

لِلوِصَالِ ولِلرُّوَا

قد أستعيضُ عَنِ التأوُّبِ بالنَّوَى!...

عفْواً، فإنِّي الآنَ لاحَ قُبالَتِي

عَرْشٌ عَلَيْهِ

أرَى الإلَهَ قد استَوَى

ألَقٌ ونُورٌ مِنْ مَلاحَتِهِ

استَبانِي واحْتَوَى!...

ويَلُوحُ ظِلٌّ وارِفٌ..

فِيهِ القِرَى...

فِيهِ المَثابةُ والسَّكِينَةُ والدَّوا!.....

ويَلُوحُ حَوضُ مُحَمَّدٍ

ويداهُ تُومِئُ للعطاشَى

أنْ هَلُمُّوا أمَّتِي

ويَصِيحُ :

ربِّيَ : أُمَّتِي

فيُجيبُهُ الرَّحْمَنُ :

حَسْبُكَ يا مُحَمَّدُ رَحْمَتِي

أينَ الشَّهيدُ ؟..

أيَا مُحَمَّدُ

مِنْ هُنا يَمْضِي شَفِيعًا

في فَصِيلَتِهِ الَّتِي....

لَولا الشَّفاعَةُ

لاستَحَقَّتْ بِالعَدالَةِ نِقْمَتِي!...

يا فاطِمَه : لا تحزَني

لا تنْحَنِي بِنْتَ الإباءْ

ولْتَغْمُري قَلْبًا بِأَوْرادِ الصَّبِيحَةِ والمَساءْ

ما غصَّ حَلْقُكِ يا صَغِيرَةُ...

إنَّهُ خَوْفُ الفَناءْ

لا تأمُلي مِثْلَ الأُلَى

طَمَعُوا هُنالِكَ في البَقاءْ

أنَّى لَهُم!..

يا وَيْلَهُم!..

إذْ جاءهُمْ مِنْ فَورِهِم

ذُلُّ كَزَخَاتِ البَلاءِ

يا وَيْحَهُم !

يَتَمثَّلُونَ الوَهْمَ أوثانًا لَهُم...

يتبايعـون بضاعةً مزجيّـةً..

يتكالبـون على الهباءا ؟!..

فلتحذريـن سمومهم..

تبًا لهـم!..

قومي لتوكِ وادفعـي وسواسهمْ...

ولتقلبيـه عن الشمال بوجههـم!..

هيّا اقلبيـه بوجه أذناب الحماقة والغبـاءْ!...

كي تُلهمينَ منَ اليقيـنِ الحقِّ

ترياقَ الهنـاءْ

هيّا بُنيَّةُ كي تُهاديـكِ الملائكُ في السَّمـاءْ!...

يا ليت شعري إنْ قضيتُ

فإنّها أمنيّتي..

ألقى الحبيب وأن تطيبَ منيّتي!...

لا ضيرَ أضحى هاهُنا

بيْتَ القَصيدِ!..

إنَّا لَنا للحُسْنيَيْنِ

فَحيْثُما شاءَ الإلَهُ

فإنَّنا طَوْعٌ

فإنْ يُرِدِ الحَبيبُ لَنا

رَضِينا ما يُريدُ!...

لا تَحْسَبي في المَوْتِ حَبْسًا

دُونَهُ تَحْلُو الحَياةُ..

وَدُونَهُ عَيْشٌ رَغيدٌ!...

لَكِنَّها الأقْدارُ..

لَوْ نَرْضَى بِها..

عِشْنـا كِراماً

لا يُـرامُ لِمِثْلِنـا هـامٌ..

ونَرقَى في فَضـاءِ الخُلْـدِ..

لا نَخْـشى العَبِيـدَ!...

* * *

يا فاطِمَه

فُضِّي يَدَيْكِ من الأمـاني الخادِعاتِ

صَغيرَتي!...

إنّا هُنـا مُسْتَضْعَفُـونَ لَـدَى الورَى!...

فَلْتَجْعَلِـي لِلجَمْـرِ كفّاً صابِراً

ولْتَصْمُـدِي لِلجائحـاتِ...

فقد يَطُـولُ بِكِ السُّـرَى

وبِأصْلِ نَخْلَتِنا نعُضُّ

إذْ يُناوِشُك البَلاءُ

وإذْ تُغَشِّيكِ الفِرَى!...



وَلَئِنْ دُعِيتِ إلى لِقاءِ العُمْرِ

يَومًا مِثْلَنا..

فَتَهَيَّئي...

وَتَرَسَّمي بالجِدِّ

دَرْبَ الأوفياءِ..

إلى مُقامِكِ في الذُّرا!...

فإذا قَضَيْتِ.. فَقَدْ نَجَوْتِ

اليَوْمَ يَنْجُو مَنْ يَبيعُ

إذِ الإلَهُ قد اشْتَرى!...

***

يا فاطمـه

يا قَبْسَةَ الرُّوحِ القُدُسْ

إنِّي لَمَكْرُوبٌ تَعِسْ

شُغْلِي عَلَيْكَ مِنَ المُغامـرِ...

وَلَلْقامِـرِ والنَّجِـسْ ! ...

فـرْطُ الجَمَـالِ : بَلِيَّـةٌ ورزيَّةٌ...!

وَمَطِيَّـةُ الأهْـوالِ فِي الزَّمَـنِ البَئِـسْ!...

يا ليـتَ أنَّـكَ ما أُتِيتِ مِنَ البَهَـاءِ

وَلا الضِّيَـاءِ...

وَلَيـتَ أنَّـكَ فِي الدَّمامَـةِ كالغَلَـس!..

فَإذَا يَعافُكِ فِي المُلِمَّاتِ الرِّجْـسْ!..

قُومِـي بُنَيَّـةُ ليس هذا بيتنا ..

ياليت أنك تلحقين بركبنا

فهناك نرتع في مثابة ربنا

والأنس يحلو في جوار نبينا

كَي تَلْحَقِي في الخالِداتِ

بِأُمِّ عَمَّـارَ الَّتِي

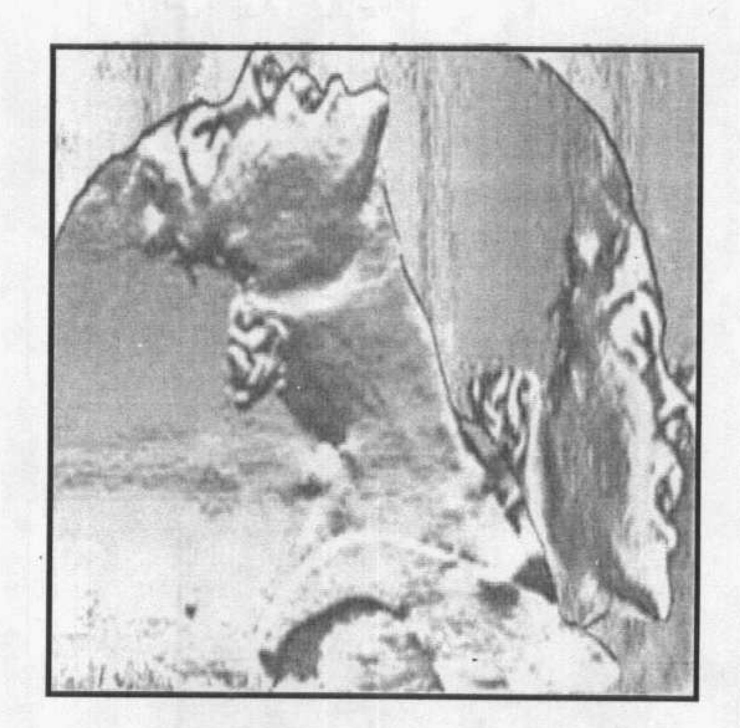
يَومًا مِن الأيـامِ

قد وَقَفَتْ هُنـا

لا لا تطول شُمُوخَها جَبَرُوتُهُم...

وَتَقُولُ في شَمَمٍ لَهُم :

أَحَدٌ أَحَدْ.. فَرْدٌ صَمَدْ



لا نِدٌّ.. لا لا لا شَبِيه

ولا شَرِيـكَ..

ولَيْس لي مِنْ دُونِـهِ

في هَذِه الدُّنْيا سَنَـدْ!

أَحَـدٌ أَحَـدْ...

آهِ.. أَحَـدْ ! ..

آهِ أحَـدْ!..

فَأَتَـابَهَا المَنَّـــانُ

قُرَّةَ عَيْنِـها...

فإذا مُنَــادِ بالبِشَـــارَةِ

في البَـراحِ يَزُفُّهـا :

هَذا رَفِيقُــكِ يا سُمَيَّـةُ

ياسِـرٌ... فَلْتَهْنَئِـي...

وتَزَيَّنـي

فاليَـومُ يَـومُكِ...

لَيس مِثْلُكِ ها هُنـا

في القَـومِ مَحظُوظٌ سَعِيـدْ!

فَتَهَيَّـأتْ لِلعُـرسِ

نَفَحـاتٌ مِن الرِّضْوانِ..

والرَّيحـان.. والعَبَقِ الفَرِيـدْ!...

* * *

عُصْفُـورَتِي :

خُضْـرُ العَصافِيرِ الَّتِي تَلْهُـو

بِأكْنـافِ البَـراءَةِ غافِـلات

إنْ تَرامَـىٰ بِالنَّشِيـدِ غِنـاؤها...

مِنْ فَوْرِها الحِـدْآنُ

تَجْتـاحُ السُكُـونْ...

فَتُرَوِّعُ الأطيـارَ في وُكْنَـاتِها..

وتُقِيمُ قُدَّاسَ المَنُـونِ!...

وتُميطُ أَقْنِعَـةَ الدَّهـاءِ الوَغْـدِ

عَنْ نـابٍ ومِنْقَـارٍ

وأظفـارٍ حَدِيـدْ!..

فَتجَـرَّعَ العُصْفُـورُ في بَلْوائـهِ

مَكْـرَ الجُنَـاةِ!...

لَمَّـا رَآهُ

وقَدْ أبَـى نْ يَنْحَني

في رَكْبِ مَنْ أَحْنَـوا

لِذِي البَطْـشِ الجِبَـاهْ

لَمَّا أبَـى أنْ يَرْسُـمَ الباغِي خُطـاهْ...

لَمَّا أبَى بالإفْكِ

أنْ تَشْدُو الشِّفَاهْ!..

في زَقْزَقَاتٍ واثقاتٍ

قَدْ بَدا منْه الرُّكُونُ إلى الشُّداةْ!...

وإلَى البلابِلِ

في رِيَاضِ الحَقِّ...

يَهْزأُ بالرُّماةْ......... !

واسْتَيْأسَ الواشِي الذي

قَدْ وكَّلُوه بِظِلِّه

وَبِحُلْمِهِ ... وَبِسِرِّهِ...

وَبِما يَهِسُّ من الشُّجُونِ إلى الحُداةْ!...

مَنَّوْه بالإطلاقِ.. والإشْراقِ..

والفَجْرِ الجَدِيدْ!...



أغروْهُ بالتَّحْليقِ

في أُفقٍ مَديـدْ!...

فَتَعَشَّقَتْ روحُ المُعَنَّــى

حُلمَ بَلدَتِنا السَّعيـدْ!...

ذِكْرَى الطُّفُـولَةِ والصِّبَا...

وَحكَـاوِيَ الرُّعْيَـانِ..

والحُمْـلانِ...

وَالذُّؤبـانِ في ضَيْعاتنـا! ...

ذِكْرَى «العَصيـدَة»(*)

والزَّيْـوتِ مُضيئـةً

و« الرُّبُّ».. و«البازِيـنِ»..

في قَصْعَـاتِ جَدَّتِنا الوَدُودْ!...

(*) «العصيدة»و«البازين»، من الأكلات الشعبية الشهيرة التى فى شمال أفـريقيـا، فـالأول يُصْنَعُ مِنْ عَـجِين القَـمْحِ بزيت الزَّيْتُـونِ والثـانى من دَقِـيقِ الشَّعِيرِ؛ أما « الرب» فهو خَلاصةَ عَصير التمر منضوجا علىَ النار.

وَالشَّيْخُ يَتْلُو وَاثِقًا

آيَ الصُّمُودْ!...

قَدْ أُوتِيَ الحُجَجَ البَلِيغَةَ

مِنْ شَذَا عِطْرِ الجُدُودْ!...

وَيُلَقِّنُ الصِّبْيَانَ

مِيثَاقَ الأُخُوَّةْ

والفُتُوَّةِ في خَلاوِينَا (*)

وَيَرْعَى عَهْدَ بَيْعَتِنَا العَتِيدْ!...

(*) الخلاوى هى بيوت القرآن. وهى معروفة ومشهورة فى عموم أفريقيا ، ولا سيما فى تلك البلاد التى ينتشر فيها المذهب المالكى ، الذى لا يستحب صلاة الصبية أو تعليمهم القرآن فى المساجد ، فبنيت الخلاوى كبيوت ملحقة بالمساجد ، أو شبة منعزلة عنها ، ثم انتشرت بعد ذلك لتُبْنَى لها أماكنُ مستقلة فى أطراف الأحياء أو على حواف القرى والمناطق المأهولة بصفة عامة. وكانت الخلاوى فى الماضى قاصرة على تحفيظ القرآن فقط ، ولكنها توسعت بعد ذلك فى علوم الفقة والحديث والتفسير والسنة فصار بناؤها ينقسم إلى جزأين : الأول لسكنى الطلاب ومعاشهم ؛ والثانى لتلاوة وحفظ القرآن وتلقى علوم الفقة المختلفة.

وتراهُ يتلُو آيَ «يُوسُفَ» خاشِعًا

إذْ سَوّلَتْ لِلخاطِئِينَ نُفُوسُهم أمْرًا...

وأمْرُ اللهِ يَنْفُذُ لا محالة

لا تُمانِعهُ القيُّودُ

ولا السُّدُود!...

وإذاهُ يَتلُو «العَنكَبُوتَ»

فَيَسْتَعِيذُ مِنَ البَلاءِ...

يَقُولُ: صبراً فِتْيَتي

لا تَعبَأُوا بِالنّائِباتِ

فإنّها إنْ لَمْ تكُنْ في الدِّينِ

صارَتْ تافِهاتٍ

لا تَفُتُّ بِعَزْمَتي بعزمةٍ ....

لَو تَعْلَمُوا..

قَدْ كانَ يُؤتَى بالرِّجالِ

فَيُصْلَبُونَ... ويُنْشَرُونَ...

فَمَا يَزِيدُهُمُ العَذابُ

سِوَى اشْتِياقِ الجَنَّةِ!...

لا تَرْكَنُوا لِلظَّالِمِينَ فإنَّهُمْ

أصْلُ البَلاءِ

وَإنَّهُم غَضَبُ السَّماءِ

وإنهم دَرْكُ الشقاء ...

وَإنَّهُم علَى سُوءُ : الجَزاءُ

وَإنَّهُم داءُ الدَّواء !...

وإنهم يأسُ الشفَاء! ...

وَكَأنَّما انْكَشَفَتْ لَهُ

حُجُبُ الغُيُوبِ

عَنِ الشّدائِدِ وامْتِحانَاتِ السِّنِينَ!! ...

* * *

أوّاهُ يا ذِكْرَى السِّنِينْ!...

هَلْ يا تُراكِ سَتَرْجِعِينَ إِلَيَّ ثانِيَةً

فَأَغْدُو ظافِرًا بِالحُسْنَيَيْنِ...

وخالِدًا في العَالَمِينْ..؟!

أَتَعُودُ أوطانِي الّتِي

قد نكَّرُوا لِي وجْهَهَا..

وبِكُلِّ لَوْنٍ

غَيَّرُوا لِي جِلْدَهَا!...

ويُثَقِّبُونَ خُدُورَهَا!...

أغْرَوا سَفِيهَا

أنْ يُشَرِّعَ لِلذِّئَابِ قُبُولَهَا!...

وَيُدَغْدِغُونَ بِكُلِّ مَعْسُولِ الهَوَى

أحْلامَهَا.!...

قد أطْفَأوا النُّورَ الذي

أرجُو به دَربَ الفَلاحِ لِوَصْلِها!...

لَكنَّما قَلبِي دَلِيلِي

قد هَدانِي في الظَّلامِ لِقَلْبِهَا...

فَعَرَفْتُها.. وَشَمَمْتُها..

حَنَّتْ إليَّ شِعابُها..

آبارُها.. وعُيُونُها..

وهَواؤها.. وَغَرامُها..

والدِّفءُ يَملأُ قَلْبَها!...

تلك الديار لطالما أهفو لها !...

وفَتاةُ أحلامِي التي

يَـوْمَ الصَّبِيحَـةِ...

والأمـانِي الغالِياتُ بِعُرْسِهَـا حَـرَّى...

قد بَخَّـرُوا لِي عُشَّهَـا...!

وتَخَيَّـوا فِيهـا الرَّجَـاءَ

بِأَنْ تُلَمْلِـمَ شَعْثَهَـا...

لَكِنَّمَـا أَمَـلٌ تَهَلَّـلَ

في صَـدَى آلامِهَـا...

فَلَسَـوفَ تأتَلِـقُ السَّجَـايَا

المُعْجِـزَاتُ...

إذا الخُطُـوبُ تَكَشَّـرَتْ أنيابُهَـا!...

ولَسَـوفَ يُرْتَـقُ بالأصَـالَةِ ثَوبُهَـا!...

وعَرَاقَـةُ النَّسَبِ المُؤَثَّلِ بِالفَضَـائِلِ

لا يَحُـطُّ لَـدَى النَّوائِـبِ قَدْرَهَـا!...

فَتَشَبَّثَتْ بِخُيُوطِهِ.. واستَبْشَرَتْ...

وتَحَسَّسَتْ قَلْبِي..

وَرَقَّتْ لِي..

وقَالَتْ- والحياءُ يَلُفُّها :

عَوْدٌ حَمِيدْ..؟!

وكأنَّما أرجوه يا بِنْتَاهُ

حُلُمٌ...لا تُعَنِّيه القُيُودا...

لَكِنَّما أحلامُنا يا ابنتي

يا لَيْتَ يُعْطاها الرَّشِيدْ

أنا لَو أُجِيدُ بُنَيَّتي فنَّ الحُوَاةْ !..

لَكَتَمْتُ أنفاسَ الوليدْ !..

وصَلَبْتُ أفكاري

عَلَى جُدْرانِ هيكَلِنا المَشِيدْ !..

وَخَلَعْتُ يا بِنْتَ الأُبَاةِ عِمَامَتِي

وَطَهارَتِي.. وقَناعَتِي..

وعَبَدتُ شيطاناً مَرِيداً!...

ولَثَمْتُ جُرْحَ كَرامَتِي الرَّعَّافَ

مُقْتَصّاً بِنَوْبَاتِ المَذَلَّةِ..

فالتَّعَزُّزُ حِينَذاكَ

أيَا هَوانِيَ

لا أُجِيدُ.. ولا أُرِيدُ!...

لَو أنَّنِي مِمَّنْ يُسَبِّحُ بالمَحَامِدِ للوُلاةِ...

أو مَنْ يُرَدِّدُ بالنِّفَاقِ صَدَى الوُشَاةِ...

لَـرَأيْتِنِي كَمْ رُحْتُ

أحْمَدُ في النَّوائِبِ كَرْبَنَا!...

وأصُوغُ مِنْ خَرَفِ الطُّغَاةِ

البيِّنات لوَحْينا

وشَجَبْتُ هَدْيَ نَبِيِّنا

ورَهَنْتُ مَجْدَ جُدُودِنا...

وأكَلْتُ سُحْتًا منْ فُتَاتِ غَرِيمِنا!...

ولَعَنْتُ أيَّامَ القَدِيدْ!...

ولَمَا جَنَيْتُ القَهْرَ والحِرْمانَ...

والنَّفْيَ البَعِيدْ!...

لكنَّني ما زِلْتُ يا بِنْتاهُ

في أعرافِهِم

مُتَطَرِّفًا... مُتَزَنْدِقًا...

ولِذا سأبْقَى العُمْرَ

مَنْبُوذاً شَرِيدْ!...

أسْتَحْفِظُ الأسفارَ.. والأشعارَ..

والأوْطانَ في قَلْبِي الطَّرِيدْ!..!

وَتَوَزَّعَتْ آثامُهُمْ

فَإذا استراقُ السَّمْعِ

يَسْبِقُ خَطْوَنا!...

وَيَجُوسُ بَيْنَ رُبُوعِنا

وإذاه يُقْطَعُ بالسَّفِيهِ طَرِيقُنا

وَمُناهُ يُحْبِطُ حُلْمُنا...

وتَراهُمُو

أغْرَوا بِنا غِراً خَسِيسًا

إذْ يُشْرِعُ مُدْيَتَيه

فَحَزَّ مِنَّا عَنْوةً حَبْلَ الوَرِيدْ!...

وَيَجزُّ مِنْ أوتارِنا

تلك التي عَزَفَتْ لَهُ لَحْنَ الوَفا

إذ كان في الكَرْبِ الشَّدِيـدْ!...

ويَقُـدُّ مِنْ أوصـالنا...

تلكَ التي نُصِبَتْ له يَومـًا

كَمِتْراسٍ حَدِيـدْ!...

فإذا النَّزِيـفُ

يَصِيـرُ قَطـرًا للنَّـدَى

ويَثُجُّ بِلاً لِلصَّـدَى

وإذا أمَـانِ

مِنْ بَنَـاتِ الصَّخْـرِ

تَنْبُتُ في فَضَـاءات المَـدَى!...

ويَشُقُّ عَنْ صَـدْرٍ مُوَشَّـى

باضْطِبَـارات المُؤَمِّـلِ

في الرَّجَـاء الحَقِّ

والنَّصْـرِ المُبِيـنْ



فإذاه يُؤخَـذُ باليَقِـينِ!

لَدَى الشِّمـالِ..

والاحتِسـابِ لَدَى اليَمِـينْ!

حينـاً يُتَمتِمُ باللِّعـانِ...

ويَستَبِيـحُ كَرامَتـي!...

ويَفُضُّ أحْـرازَ العهُـودِ

إذا رمَتْهُ مَلامَتـي.!...

ويَكَـادُ يَعْصِـرُ بالحَمـاقَةِ نِيَّتـي

ويَسُـبُّ جَـدْيَ

بل ويَقْـذِفُ جَدَّتي!...

فأراه يَحْسُـدُني

ويَغْبِطُ مِحنَتـي!..

ويَضِيـقُ صَدراً

باصْطِبـاريَ خائفاً...

أنْ لو هَجـانِيَ بالجِهـارِ

فَقد يُفيـقُ عَلَى الضَّجيـجِ أحِبَّتِي!...

وإذا ذَرَانِيَ في الرِّيـاحِ

لتَـوَّ حَرقِيَ في الصَّبـاحِ

فَرُبَّمـا عَبَقُ الشَّهـادَةِ

قد يُنَبِّتُ بِذْرَتي!..

وأصيرُ زَرْعاً ذا بَراعِمَ...

في غُصُـونٍ باسِقـاتٍ

طَلْعُها : خُبزُ الحيـاة لشيعَتي!...

وأصيرُ مُلْهِمَ كُلِّ فُرسانِ القَريـضِ

فيرتقي في النّاسِ ذكري

يقفُون مَسيرتي!...

ويَخُوضُ في لُجَجِ الجَهالَةِ

ضارِبًا بالعُرْفِ صَفْحًا

قد تَنكّرَ للعُهُودِ وقَدْ جَفَا..؟

ولَقَدْ تأنّقَ بالعِباراتِ الرِّياءِ

وقد تَغاضَبَ...

ثُمّ ثانيةً تَهَلَّلَ بالصَّفَا...؟!

مَنْ ذا يَصُونُ العَهْدَ يا بَلَدِي

إذا جارَ الزّمانُ

وقَد طَغَى ضَرْبُ البِلادِ على القَفَا؟!...

يا لَعْنَةَ اللهِ اسْمِلِـي

تِلْكَ العُيُـونَ الخائِنَـاتِ ...

وكَسِّـرِي مِنْخَـرَ العِـزِّ الأثِيـمِ

لَعَلَّنـا نَصْبُـو إلَى الأمَـلِ المَجِيـدْ!...

* * *

يا فاطِمَـه

قومِـي إليهِـمْ يا بُنَيَّةَ

أنَّـا صُبُـرٌ

إذا حَلَّ البَـلاءْ!...

لَقِّنيـهِم في فُنُـونِ المَوْتِ دَرْسًا

لا تأمُلي شيئاً كبـيـراً

أن ترِقَّ قُلُوبُهم

أو تَقْشَعر جُلودُهُم

لنَحيب ثكلى أو بكاء يتيـمة

في جوف ليل مستطيل بالأماني الغالياي وبالرجاء

لَو أنَّ ساحِرَهُـم وَعَـى

أنَّ الثَّعابِينَ الَّتي ألقَى بِها

يَومًا تَعُودُ أدراجَ الهَبَاءْ!...

لَو أنَّهُ تَرَكَ القِوادَةَ

واستَراحَ مِنَ العَناء..

لَو حَطَّمَ البُوقَ

الَّذي كَمْ شَنَّفَ الآذانَ

إفكًا... وافتِراءً... واجتِراءْ!...

لَو أنَّهُ تَرَكَ السُّجُودَ لِرَبِّهِ

الفِرْعَونَ يَومًا

داعِيًا رَبَّ السَّماءْ!...

فَلَرُبَّما تابُوا جُمُوعًا

بَيْنَ خَوفٍ أو رَجاءِ!...

ولَرُبَّما باءوا بِإثمِ الشَّعْبِ يَومًا...

رُبَّما رَفَعُوا أَيادٍ بِالدُّعاءْ!...

للَرُبَّما رُزِقَوا الشَّهادَةَ

فِي جِوارِي هاهُنا...

ولَرُبَّما عِشْنَا سَوِيًا

فِي السَّعادَةِ وَالهَناءْ!..

يا سِجْنَ أوطاني المُجَلَّلَ بِالطُّغاةْ!...

يا مَسْرَحًا لِلإثمِ.. والعُدْوانِ...

يا مَلْهَى البُغاةْ!...

أَيَجُوزُ أنْ يَفْشو الظَّلامُ

وبَيْننا نُـورُ الهُداة...؟!

أيَخـالُ أنْ يَعْنُـو الأُبـاةُ

بَنُـو الأُبـاةِ...

بِغَيـرِ حَقٍّ لِلجُنـاةْ؟!

هَيْهـاتَ أنْ تَغْـدُو مَسُـوداً

في الحيـاةِ.. وفي المَمَـاتْ!

هَيْهـاتَ أنْ تَضحَى خِنـاقاً..

في صُـدُورٍ باليَقِيـنِ مُوَسَّعـاتْ!...

فَلَقَد عَرَفْنا في السُّجُـونِ :

الحَتْـفَ:طَوْقًا للنَّجـاة!..

ولَقَـدْ أرَقْنـا

مِنْ دمانا الغاليـاتِ بُحُـورَها...

كَـيْ يُشْتَـرَى

لِلجائعِيــنَ بأرْضِنـا

خُبْـزُ الحَيـاة!...

ولَقَـدْ خبُـرْنا مِنْ جُـدُودِ المَجْـد..

أنَّ السِّجْـنَ خَلوَتُنـا..

تُواسِينـا بظُلْمَتِـهِ

تَرانِيـمُ الصَّـلاة!..

ولَقَـد علِمْنـا مِنْ طَرِيـقِ نَبِيِّنـا

أنَّ الإلَــهَ سِلعَتُهُ :

جِنـانٌ باتِّساعاتِ السَّمـا

والأرْضِ... رَوْضًـا للكُمَـاة!...

لَكِنَّمـا يا سِجْـنَ أوطـاني

مَتَى سَنَرَى الشَّبابْ...؟!

وَمَتَى نَشُمُّ عَبِيرَهُم؟!..

فَلَطالَما نَهْفُو لَهُم

هَفْوَ الغَرِيبِ

لِمَرْفَأ القَلْبِ المُدَمَّى بِالغِيابْ...؟!

وَمَتَى سَيُعْتَقُ حُلْمُنا...؟!

وَمَتَى سَيُحْطَمُ قَيْدُنا...؟!

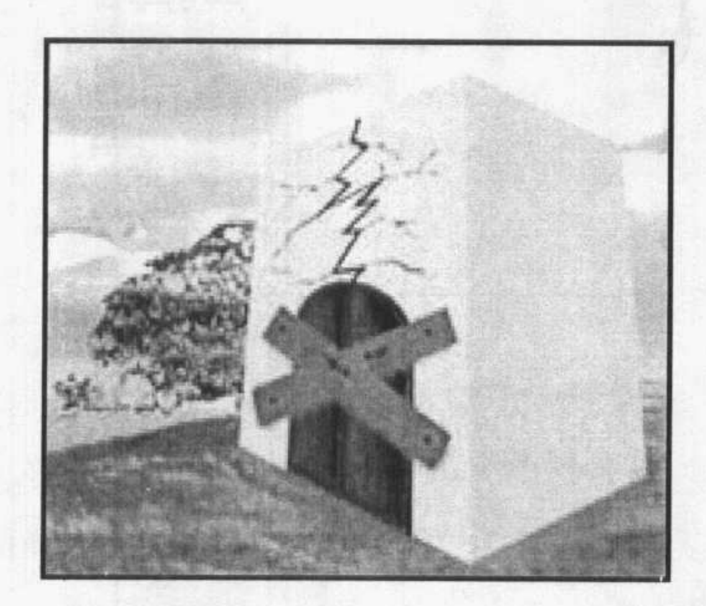
ومَتَى يُزَاحُ النِّيرُ

مِنْ فَوْقِ الرِّقابْ...؟!

وَمَتَى سَيُجْمَعُ شَمْلُنا

وَمَتَى يَخِرُّ جِدارُكَ المَقْدُودُ

مِنْ قَلْبٍ عَنِيدْ...؟!



يا فاطمه

إنْ طَيَّرُوا نَعْيَي

فلا تأسَيْ عَلَيَّ

بُنَيَّتي!

في خافقي لَحْنٌ شَجِيٌّ

نابضٌ بالحُسْنَيَيْن..

فَأَسْرِجي المِصْباحَ

مِنْ زيتُونة الأمَلِ المَجيدْ!

هذا حِمَامُ المَوْتِ...

لا نَدري!

فقد نَصْلاهُ في غَدِنا..

ولِلأوطانِ

قَدْ يومًا نَعُود....؟!

فإذاي غبتُ

فَرُبَّ ما يُخبِّئه القَضاءُ

هُوَ الوجَاءُ من الرُّعُونَةِ

والتَّسلُّطِ...

والتَّفرْعُنِ... والنَّزَقْ.!...

وإذا وَقَفْتِ لَدَى الشَّفَقْ..

تَتَشوَّقِينَ الرَّكْبَ

تِلْوَ الرَّكْبِ...

دَومًا تَسائِلِين... وتَرْقُبِين...

وتَأمُلِينَ بِأنْ يَطُولَ من النَّهارِ

ولَو رَمَقْ!...

وَعَلَى بِسَاطِ الرِّيحِ

حَسْبُكِ تَنْقُذِينَ مِن النَّفَقِ!...

لِنَشُقَّ فَجْراً

فِي امْتِدَادَاتِ الأُفُقْ!...

وَسَنَلْتَقِي..

لا نَشْتَكِي أَلَمَ الفِرَاقِ..

وَنَسْتَرِيحُ مِن الرَّهَقْ!!

وَلَسَوفَ نَرْفُلُ فِي مَثَابَاتِ الأَمَانِي الغَالِيَاتِ وَنَأْتَلِقْ!...

فَتَرَقَّبِي

فِي جَوْفِ فَجْرِ الغَدِ

تَطْلُعْ شَمْسُنَا

حُبْلَى بِإِشْرَاقٍ جَدِيدْ!...

وكأنَّمـا تهفُـو الحَبيبـةُ

يالَهـا مِنْ نَفْحَـةٍ

زُفَّـتْ إليَّ الآن

في عُرْسٍ جَدِيـدْ!...

وتلألأت في خاطري إنسِيَّـةٌ..

هيَ فاطِمَـه!

مِـنْ حَوْلِها حُـورٌ..

وأبـرارٌ..

وَجَوْقـاتُ النَّشِيـدْ!...

تَشْـدو بألحـان الشَّهـادَةِ

إنْ بَـدا في الأُفُقِ نُـورٌ

مِنْ سَنَـا ذِكْـرَى الشَّهِيـد!..

* * *

يا سِجْنَ أوطـــاني

إذا جَـــنَّ الغُـــرُوبْ...

وتَبَدَّدَت في اللَّيـــلِ

سانِحَةُ الهُـــرُوبْ...

ورَأَيْتُ وَجْهاً مُسْتَدِيـــراً

في كَمـــالِ البَدْرِ..

يَغْشاهُ الشُّحُـــوب!..

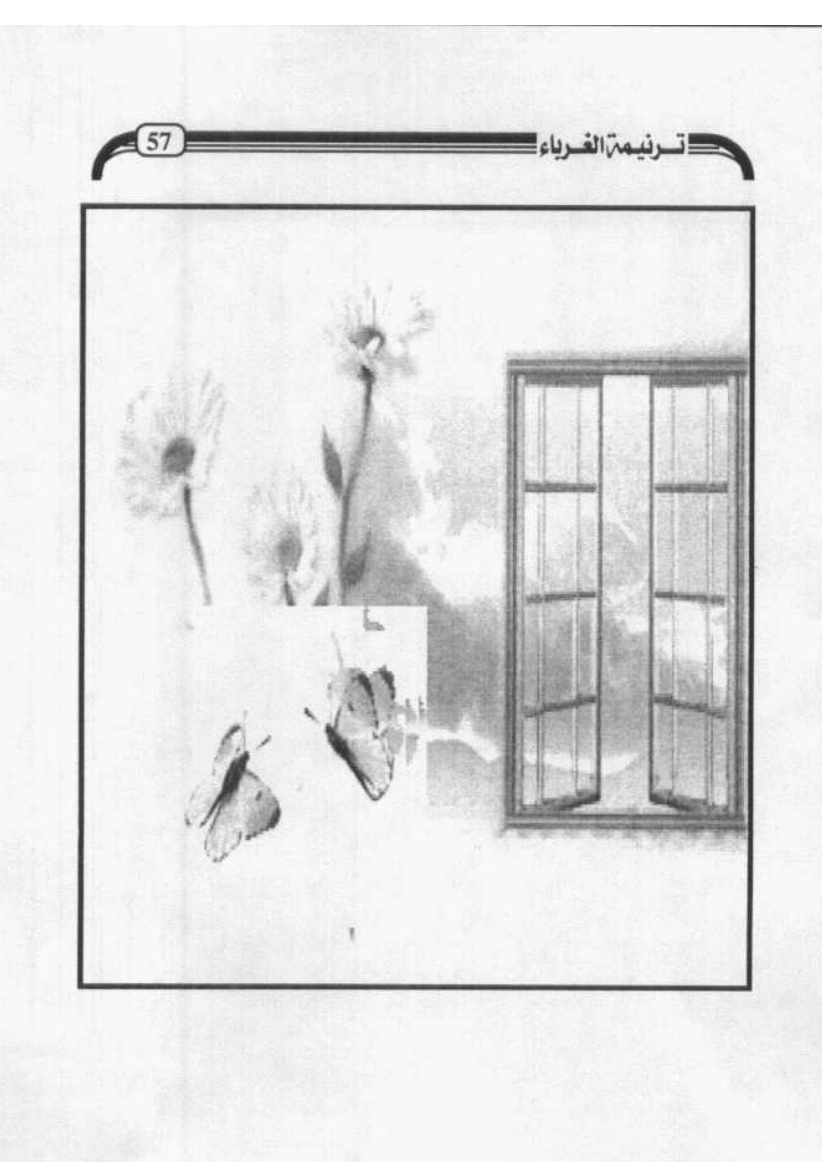
فإذاه يُومِئُ لي بِمَأْمُونِ الدُّرُوبْ..

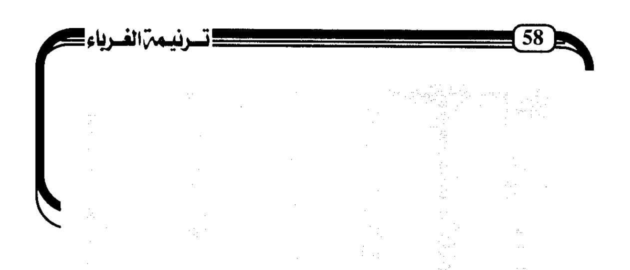
ويَفُكُّ قَيْدِيَ هامِســـاً :

هذا سَبِيـلُكَ يا شَهِيد!...

هيَّا شَهِيـــدْ ... عاش الشَّهِيـــدْ !...

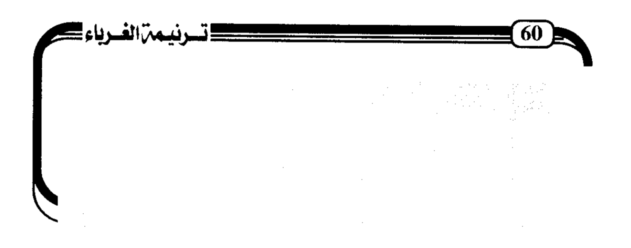
* * *







قبل الختام


ترنيمة الغرباء
60

لِمَ البَقـاءُ بِحيِّنـا؟!...

وَتَجاوَزَتْكَ الأَزْمِنَهْ...

والأمْكِنَهْ...

وَتَجاوَزَتْ أفْكارَكَ المُتَعَفِّنَهْ

فَلَكَمْ غَوَيْتَ...

وَكَم هَوَيْتَ...

وَكَمْ قَرَأتُ بِأُمِّ عَيْنِكَ خائِنَهْ.....!

وَلَكَمْ سَعَيْتَ بِكُلِّ دَرْبٍ لِلْفَسادِ...

وَلِلشُّرُورِ البَيِّنَه...!

وَلَطالَما اقْتَرَفَتْ يَداكَ مِنَ الفِعالِ الشّائِنَه...!

يا مَنْ هُناكَ

وَلَستَ أصْلاً مِنْ هُنَا :

لا نَحْنُ مِنْكَ

وَلا دِماؤُكَ مِنْ دِمانا

وَلا خُطاكَ بِدَرْبِنَا

فَلِمَ البَقاءُ بِحَيِّنَا؟؟!

الشاعر في سطور

الاسـم / عطية فتحي عطية رزق الويشي

الشير ب عطية الويشي .

مواليد قرية دفرية مركز كفر الشيخ من أعمال الدلتا المصرية . في ٢٥ / ٧ / ١٩٦٤م .

مُتَزَوِّج ، ولله عنده : أبو الحسن ، ومحمد ، وعلى ، وفاطمة . . . !

كاتب مُتَخَصِّص في شئون الحضارة وفلسفة التاريخ . . . وفي شئون الفكر الإسلامي بصفة عامة . . . !! وباحث أكاديمي بقسم التاريخ والحضارة- كلية الآداب- جامعَة بنها . وباحث مُشارك بمُعْجَم البابطين لشعراءَ العربية في القرنين التاسع عَشَر والعشرين .

المؤلفات :

-حوار الحضارات - مكتبة المنار الإسلامية - الكويت - ٢٠٠١ .

أحكام الوقف . . وحركة التقنين في دول العالم الإسلامي - الأمانة العامة للأوقاف - الكويت- ٢٠٠٢ .

واقعنا الإسلامي . . بين مطرقة العالمانية وسندان تصادم الحضارات - دار نهضة مصر - ٢٠٠٣ .

القطاع المؤسسي للأوقاف في البلاد الإسلامية - الأمانة العامة للأوقاف - دولة الكويت - ١٤٢٧هـ

الصراع في الفكر الغربي - دار نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٧م .

الخوف من الإسلام - دار نهضة مصر - القاهرة - ٢٠٠٦م .

ترنيمة الغُرباء - مَلْحَمَة شِعْرِيَّة - دار البَشير - القاهرة - ٢٠٠٧م .

التغريبة العربية - دار البَشير - القاهرة - ٢٠٠٧م .

يكتب في العديد من الصُحُف والدَّوريّات المحلية والعربية . . . كما نُشِرَتْ اشعارُه في صَحيفَتي آفاق عربية والأسرة العربية المصريتين . وعديدَ من مواقع الشعر على الشَّبَكَة الدولية للمعلوماتَ .

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالَميَّة .

حصل الجائزة الدولية لدراسات الوقف .